استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن واخرجه الطبراني وقال فيه فانزل الله عز وجل
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعل
ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم
ذكر الله سبب المنع فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك وماتوا عليه فهم من اصحاب
الجحيم وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده واما قوله تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فمعناه فما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة وعدها ابراهيم
اياه ان يستغفر له رجا السلامة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك
ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه وهما مشركان فانزلت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في الاستغفار انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد
الذي وعده رجا الاسلام فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من
ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل الهاء راجعة
الى ابراهيم وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجا السلامة ويؤكده قوله ساستغفر لك ربي ويدل عليه
ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالبا الموحدة **فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه** يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان
اباه عدو لله تبرا منه وقيل انما تبين له في الاخرة انه عدو لله يعني بموته على الكفر وقيل يحتمل ان الله اوحى الى ابراهيم
ان اباه عدو لله تبرا منه ويدل على ذلك ما روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه
السلام اباه يوم القيامة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصيني فيقول ابوه اليوم
لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك قد وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول
الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ
بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فتبرا منه الغبرة والقترة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم يا شناة
من تحت ثم خا معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه حليم** وقد جا في الحديث الاواه
الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعا وقال ابن عباس هو المومن التواب وقال الحسن وقتادة
الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار الاواه هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول اوه من النار قبل ان لا ينفع اواه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر
لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطا هو الراجع عما يكره الله الخايف من
النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول ابي
عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت يتنفس الصعدا والفعل اوه وهو
قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها
فالانسان يخرج النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو
الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لين لم
تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم وانما وصف الله

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة الرافة والخوف والوجل والشفقة على عباده فبين
الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه
الحالة ايضا قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما ياتون ويذرون
ويتقدم عليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد
ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا من ذلك وقع في قلوب المومنين خوف على من مات على
ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين الله لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم في معصيته وطاعته عامة
وقال انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمجاهدين للمومنين في ترك الاستغفار
للمشركين خاصة وبيانه له في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى
يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال بعضا نزل قال الكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فرجعوا الى قومهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم
لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول
قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني
وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ **ان الله بكل شي عليم** يعني انه تعالى عليم بما
خالط نفوسكم من الخوف عندما ذكرها ونهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه
ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده
وملكه يحكم فيهم بما يشا **يحيي ويميت** يعني انه تعالى يحيي من يشا على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشا على
الكفر ويميته لا اعتراض لاحد عليه في ملكه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى
وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية تاب الله بمعنى تجاوز الله وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي
صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فهو من باب ترك الافضل لانه نصب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله
تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا انه ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم
الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف
له اما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك
لانها في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انها لا تقدر على قتال الروم كيف لنا بالخلاص منهم فتاب
الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من
زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغاير واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر
وغفر لهم وتاب عليهم ما تحملوا من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم واما ضم ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين فانهم قد بلغوا الى المرتبة التي ضم النبي صلى الله عليه
وسلم الى ذكرهم **الذين اتبعوه** في ساعة تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلما ان النبي صلى
الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل
في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى

Copyright © King Saud University